

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِخْوَتِي الْأَحِبَّاءُ،

إِنَّا لَكُونُنَا عِبِيدًا لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ حَيَاتِنَا الَّتِي نَعِيشُهَا تَكْتَسِبُ مَعْنَى وَتَزْدَادُ قِيمَةً كُلَّمَا افْتَرَبْنَا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلِهَذَا نُوجِّهُ مَشَاعِرَنَا وَأَفْكَارَنَا، وَسَلُوكَنَا وَتَصَرُّفَاتِنَا إِلَى حَيْثُ يُرْضِي اللَّهُ تَعَالَى وَيُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ. وَمِنْ ذَلِكَ عِبَادَاتِنَا الَّتِي هِيَ وَسَائِلُ تَقَرُّبِنَا إِلَى اللَّهِ. وَمِنْ أَغْزَرِ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ مَعْنَى عِبَادَةِ الْأُضْحِيَّةِ، الَّتِي تُسَمَّى كَذَلِكَ بِالْقُرَابِينَ. وَمَعْنَى الْقُرَابَانِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ تَبْيَانِهِ أَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى عَبِيدِهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَتَحَرَّى السَّبِيلَ الَّتِي تَقْرِبُهُ كَذَلِكَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَتَمَثَّلُ الْأُضْحِيَّةُ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الْوَسَائِلِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ. وَيُوضِّحُ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ سَبَبَ ذَلِكَ إِذْ يَقُولُ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّقْوَى مِنْكُمْ﴾.¹

إِنَّ عِيدَ الْأُضْحَى تَمَنِّحُنَا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ فُرْصَةً لِلتَّقَرُّبِ عَنْ طَرِيقِ الْمُشَارَكَةِ. إِنَّ الْمُشَارَكَةَ مِنْ أُسُسِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي حَثَّ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ. وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْوَاجِدِ لِلْمُعْدَمِ، وَرِعَايَةَ الْغَنِيِّ لِحَالِ الْفَقِيرِ، مِنَ الْفَضَائِلِ الَّتِي يُوكِّدُ عَلَيْهَا دَائِمًا. بَلْ حَتَّى الْفَقِيرُ الَّذِي لَا يَمْلِكُ مَا يُعْطِي، حَثَّهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمُشَارَكَةِ بِإِفْشَاءِ السَّلَامِ وَالتَّبَسُّمِ فِي وَجْهِ إِخْوَتِهِ. وَمِنْ خِلَالِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ يَتَّضِحُ أَنَّ مِنْ أَبْرَزِ حِكَمِ الْأُضْحِيَّةِ الْمُشَارَكَةَ. فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُمْ دَبَّحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا. قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا».³

قَدْ يَكُونُ الظَّاهِرُ فِي عَمَلِيَّةِ الْأُضْحِيَّةِ هُوَ اللَّحْمُ وَالِدَّمُ، لَكِنَّ الَّذِي يَنَالُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا هُوَ النَّقْوَى. وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ مِنْ لُحُومِ الْأَضْحَى وَمُشَارَكَتِهِمْ فِيهَا مِنْ جُمْلَةِ النَّقْوَى. وَإِنَّ الْمُشَارَكَةَ عِبَادَةٌ تَعَزُّزُ الْأُخُوَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. وَالْمُسَاهَمَةُ فِي إِصْصَالِ الْأَضْحَى إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُعْدَمِينَ وَأَصْحَابِ الْحَاجَةِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، تُدْخِلُ الْفَرَحَةَ فِي قُلُوبِ الْمُسَاهِمِ أَوْلًا، وَتَكُونُ سَبَبًا فِي دُعَاءِ الْمُتَلَقِّي لَهُ ثَانِيًا.

إِخْوَتِي الْكِرَامُ،

إِنَّ حَمَلَةَ الْأَضْحَى الَّتِي أَطْلَقَتْهَا جَمْعِيَّةٌ حَسَنَةٌ تَحْتَ شِعَارِ "الْمُشَارَكَةُ حِكْمَةُ الْأُضْحِيَّةِ" تَصِلُ إِلَى مَلَائِينَ الْمُحْتَاجِينَ فِي شَتَّى بِلَادِ الْعَالَمِ. وَبِمَا كَانَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا أَنْ تَمُدُّوا يَدَ الْعَوْنِ إِلَى إِخْوَانِكُمُ الْمُظْلُومِينَ وَالْمُضْطَهَدِينَ، الْمَحْزُونِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ الْمُعْدَمِينَ، عَنْ طَرِيقِ التَّبَرُّعِ بِأَضْحَائِكُمْ. وَلِنَذْكُرَ أَنَّ مُشَارَكَةَ مَا بَأَيْدِينَا مِنْ مُوجِبَاتِ أُخُوَّتِنَا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَقْوِيَ الْأُخُوَّةَ بَيْنَنَا، وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى مَا يُرْضِيهِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ.

إِنَّ الْأُضْحِيَّةَ الَّتِي أَصْبَحَتْ رَمْزًا لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لَتُوحِي إِلَيْنَا الْيَوْمَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَعَانِي مِنْ خِلَالِ هَذَيْنِ الرَّمْزَيْنِ. لَقَدْ نَجَّحَ إِبْرَاهِيمُ هُوَ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حِينَمَا اخْتَبَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّضْحِيَّةِ بَوْلَدِهِ، وَاخْتَبَرَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَبُولِ التَّضْحِيَّةِ بِنَفْسِهِ، إِذْ صَدَقَ إِبْرَاهِيمُ اللَّهَ وَعَدَهُ، وَاسْتَسْلَمَ إِسْمَاعِيلُ لِحُكْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ. وَهَكَذَا كَانَتْ حَيَاةُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلُّهُ مُجَاهِدَةً لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ ﷻ. فَتَوَجَّاهُ جِهَادُهُ هَذَا بِوَصْفِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ هُوَ لَا: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.²

